أولاً: طلائع وبدايات المدن (بين العصر الحجري المعدني وعصر فجر السلالات)

تل الصوان :

مستوطنة تل الصوان التي تقع على بعد 11 كم جنوب سامراء من اكثر مستوطنات هذه المرحلة تميزاً ، لقد تقدم نظام الموصلات حيث بدأ الانسان يستخدم الحيوان في نقل البضائع حيث وجد ذلك مرسوماً على أحد جدران المساكن ، وكذلك وجدت صورة للعجلة على كرة من وعاء من فخار طور حلف الذي يعود الى اواخر الالف السادس ق.م يعتقد بأنه استخدم في النقل والمواصلات، استخدم الانسان في هذه المرحلة مواد انشائية جديدة مثل الجص واللبن المصنع بقوالب ذات اشكال هندسية منتظمة ، وكذلك استخدم الحجر والطين والاخشاب في الابنية المختلفة .

من الناحية الدينية بدأت عبادة الالهة الام وتماثيلها المصنوعة من الرخام بدأت واضحا في بعض الابنية التي مثلت المعابد الاولى في العراق التي وجدت في هذا التل وكذلك في موقع يارم تبه وحسونة والاربجية كانت على شكل حرف Tوتحتوي على مجموعة من الغرف ، وكذلك وجدت ابنية كانت تسمى Tholoi التي أكد على وجودها الباحثان فؤاد سفر وسيتون لويد في حسونة وجود هذه الابنية المتعدد يدل على وجود تعدد مهني واجتماعي واتساع في طبقة الكهنة .

ان تصاميم الوحدات السكنية تدل على ان الاسرة البسيطة ظلت تشكل جزء هاما في المجتمع ، اما من ناحية الجانب الاقتصادي فنرى بان الانسان في هذه المرحلة قد سيطر على عملية الانتاج افضل من خلال معاملة مع فائض الانتاج حيث وجدت مخازن بشكل واسع ومتعدد في الابنية مثل ماعثر عليه في (ام الدباغية) التي تقع بين حسونة وسامراء حيث عثر على جرار فخارية كبيرة مدفونة تحت الارض وقرب المساكن ، وفي تل الصوان وجدت مخازن في ابنية مستقلة مخصصة للخزن ، زيادة الانتاج يدل على تطور نظام الري من خلال شق القنوات ، اما بالنسبة للصناعة نجده واضحا في الكثير من الجوانب حيث نجد بعض الخرز وشفرة صغيرة من النحاس موجودة في قبور الطبقة السفلى من هذا التل .

وقد دلت الابنية على التقدم من الناحية العمارية من حيث التخطيط حيث وجدت المدن الدائرية والمستطيلة اضافة الى التخصص في الابنية ووجود الساحات العامة والخضراء والسور والضواحي ، السور وجد ذو الابراج ومحاط بخندق دفاعي ووجدت اثار سلم مبني من الجص يربطمستوى الارض باعلى السور وهذا السور يعتبر اقدم نظام دفاعي من نوعه في بلاد الرافدين ويعتبر السور الحد الفاصل بين مكونات المدينة (داخل السور) وبين الضواحي (خارج السور)، اما الابنية العامة والمساكن : لقد عثر في يارم تبة على مجموعة من المبان تشمل 100 غرفة وكانت مساكن تلك المستوطنة تحتوي على تنور ومخزن الحبوب وتقع على ازقة ضيقة ،وفي ام الدباغية وجدت وجدت المخازن في ابنية خاصة ووجدت حضائر للحيوانات في ابنية منفصلة عن بيوت الانسان ،اما الساحات المفتوحة الخضراء :وجدت في موقع تل الصوان ويارم تبة تتجمع حول الابنية المتعددة ساحات مفتوحة ، الضواحي التي تشمل القرى الصغيرة التي تقع خارج السور لسكن الفلاحين ورعاة الحيواناتفي المناطق زراعية محيطة بسور ، اما الطرق لقد وجدت في هذا المرحلة في تل الصوان وتبة كورة ثلاث انماط من الطرق الداخلية وهي :

1- الازقة الضيقة غير منتظمة التي تتوسط المساكن الصغيرة
2- الطرق الواسعة التي تقع عليها بعض المساكن الكبيرة والابنية العامة
3- الطرق الغير نافذة .

ثانياً: مرحلة انتشار وتوسيع مراكز الاستيطان (5000 -4000 ق.م)

وتمتد مع العصر الحجري المعدني للفترات التالية أ- دور حلف ب_ دور العبيد

اصبح المعبد في هذا المرحلة واضح المعالم والاستخدام وسميت هذه الفترة بفترة سيادة المعبد التي تمثل وجود نظام اجتماعي جديد يرتكز على التعاون الجماعي بأشراف كهنة المعبد ويدل على وجود نظام اداري اجتماعي واقتصادي جديد وربما كانت بداية حكومة المعبد ، من ناحية الاقتصادية تميزت بتطور نشاط الزراعي وتطور نظام الري وتطور اماكانات الخزن والنقل والمواصلات التي ادت الى تطور التجارة الخارجية والتصدير ، كذلك تربية المواشي وصيد الاسماك يدعم الاقتصاد ايضا ، وهناك تطور واضح بالصناعة حيث استخدم النحاس والرصاص ، وتطور صناعة العجلات والزوارق والاختام المنبسطة ، عثر على اختام مسطحة وفأس مصنوعة من النحاس في الاربجية ، ووجد في المعابد والقبور حلي ذهبية وعثر على ادوات مصنوعة من البرونز، وعثر على دولاب الخزف حيث ازدهرت صناعة الاواني الخزفية بهذا الدور ،من ناحية العمرانية استخدم الابنية ذات الارتفاع الذي على طابق واحد وتقع بناية المعبد على كتلة عمرانية اخرى هي المصطبة وتعددت المصاطب في ادوارلاحقة التي ثلت فيما بعد بداية عمارة الزقورات في العراق والتي تطورت معها عملية انشاء السلالم والمنحدرات كواسطة للارتقاء بين مستوى الارض والمصطبة ووصولا الى المعبد في القمة ، اما البيوت السكن شيدت باللبن المنتظم في اريدو وتبة كورة وظهرت مساكن للكهنة والحكام وطبقات الشعب الاخربمصفوفة على طرق وازقة متدرجة في السعة والاستقامة والاهمية ووجدت ساحات مفتوحة المزروعة الخضراء.

ثالثاً: مرحلة تطور المدن (4000 - 3500 ق.م):

وترافق العصر الحجري الاخير دور العبيد الثالث والرابع ، ودور الوركاء القديم ويشكل الطبقات (12-17) والوسيط (يشكل الطبقات 6-5).

ان ازدهار حركة العمران والانشاءات اظهر استخدام انظمة متقنة للبناء كما جاء في تبة كورة في الطبقات 13-14 شاع استخدام الحجارة كأسس للابنية ، واستخدمو الحجر واللبن وانشاء القوس والقباب ، واستخدام الطابوق في فترة متأخرة من هذه المرحلة ، واستخدم الانسان القصب والبردي في عمارة الاهوار، وشاع استخدام القارفي هذه المرحلة ايضا.

الوضع الاجتماعي يدل على ان المعبد كان المؤثر الاساس حيث تطورت سلطة كهنة المعبد وتوسع نفوذها حيث اصبحت السلطة المركزية التي تدير البلاد باسم الالهة ، وكانت اولى بوادر (التنظيم المدني) .

وكان هناك كاهن أعظم يدير هذه الجماعة من الكهنة جاء نتيجة التطورات الاجتماعية فرضت تلك السلطة وتطورها لتصبح اساس للحركة الاجتماعية والادارية .

اما الجانب الاقتصادي في هذه المرحلة الزراعة وتربية الحيوان شهدت تطور كبير نظراً لتطور نظام الري كأقامة السدود لمقاومة الفيضان والقنوات الاصطناعية للزراعة ، وتطورت صناعة المحاريث والعجلات وعربات النقل اضافة الى صناعة الزوارق والسفن الشراعية والنسيج والدباغة والجلود والاصواف والفخار وصنع التماثيل .

ان فائض الانتاج وتطور وسائل النقل والمواصلات والخزن طور التجارة الخارجية ، حيث استورد الانسان الاخشاب والمعادن حيث تاجر مع دلمون ومدن سواحل البحر المتوسط وبلاد عيلام وبلاد الاناظول ووداي النيل ومكان .

اما الجانب العمراني فان التصميم الاساسي للمدن ظل نفس ماموجود في تل الصوان مع اضافة بسيطه التي جاءت نتيجة تطور الاوضاع بشكل عام فالسور فقد وجد مزود بأبراج مراقبة في تبه كورة في دور العبيد الرابع ومحاط بخندق ،اما المعابد زاد عددها وتطورت عمارتها واصبح هناك معابد رئيسية ومعابد ثانوية ،كانت العمارة في هذه المرحلة بطابق واحد بالنسبة للمساكن الاان السلالم والمنحدرات استخدمت بشكل واضح في المعابد كذلك اضافة استخدام بعض الاحجار الملونة والطلاء الابيض للمعابد ، وكان هناك ميناء للمدينة وسوق كبير، اما البيوت سكن عامة الناس بدأت في نهاية دور العبيد تتكون على هيئة مدن صغيرة لتشكل فيما بعد دويلات مدن في عصر فجر السلالات برز منها الوركاء واور واوما ، حيث تعتبر أول ظهور للمدن هو في عصر العبيد .

رابعاً: ازدهار المدن (3500-2800 ق .م) :تشمل دور الالوركاء الاخير ودور جمدة نصر وفجر السلالات

كان اول اختراع للكتابة في التاريخ في هذه المرحلة قد شكل الحجر الاساس للنهضة الاجتماعية الجديدة ، تطور المعبد توسع حدود مهامه ، ظهرت طبقات اجتماعية متميزة اقتصاديا واجتماعيا غيرت مفهوم الديمقراطي التعاوني الذي كان سائداً ، ان تطور الاقتصادي والصناعي والعمراني اوجب وجود تلك الطبقات الحاكمة التي كانت تدير شؤون البلاد الادارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، كما وجدت في هذا المرحلة دلائل وجود ابنية ادارية غير المعابد في الطبقة الرابعة من الوركاء ، وظهرت الزقورات لاول مرة في دور الوركاء.

من الناحية الاقتصادية شهدت هذه المرحلة حالة متميزة حيث كان التطور التقني وجود الاختام الاسطوانية ودولاب الفخار واستعمال العجلة وتقدم فن التعدين وانتشار استعمال المعادن وتطور وسائل الانتاج ونحت البارز وتطور نظام الري والتجارة الخارجية .

اما الناحية العمرانية فقد اعتبر سور جمدة نصر نموذجا لاقدم سور في السهل الرسوبي واحيطت مدينة الوركاء بكامل بالاسوار ، تعددت ابنية المعابد نظرا لتعدد الالهة وظهور الزقورة ، والميناء كان جزء هاما المدينة لاعمال التجارة وسكن التجار والاجانب واستخدمت السفن الشراعية بشكل واضح في هذه المرحلة ، وظهر الشارع العريض بشكل واضح اضافة الى الشوارع والازقة واستخدام العربة كواسطة نقل ،ووجود ساحات الخضراء والمكشوفة بشكل كبير،ظهور القصور لاول مرة في هذه المرحلة في جمدة نصر ، وظهرت العمارة التي ترتفع بأعلى من مستوى سطح الارض ، واستخدام الطابوق والفسيفساء المخاريط الملونة والاعمدة ، واستخدام اللبن (Riemchen) وهو لبن مستطيل الشكل مربع المقطع .